وقد نسب عدد من العلماء الأوائل ظاهرة تخفيف الهمز إلى «الحجازيين» ولكن ينبغي أن لا نأخذ هذا الحكم مأخذ الصحة المطلقة لاعتبارين :

أحدهما : أن الأخبار تدل على أن بعض الحجازيين كانوا يحققون الهمزة.

الثاني : أن تخفيف الهمز لم يكن مقصورا على منطقة دون أخرى وإنما كان فاشيا في كثير من المناطق العربية وإن تفاوتت صوره ودرجاته[1] .

ولما كانت القبائل البدوية التي تميل إلى السرعة في النطق وتسلك أيسر السبل إلى هذه السرعة فإن تحقيق الهمز كان في لسان الخاصة التي تخفف من عيب هذه السرعة ، أي أن الناطق البدوي تعود النبر في موضع الهمز، وهي عادة أملتها ضرورة انتظام الإيقاع النطقي كما حتمتها ضرورة الإبانة عما يريده من نطقه لمجموعة من المقاطع المتتابعة السريعة الانطلاق على لسانه ، فموقع النبر في نطقه كان دائما أبرز المقاطع وهو ما كان يمنحه كل اهتمامه وضغطه .

أما القبائل الحضرية فعلمها العكس من ذلك إذا كانت متأنية في النطق متئدة في أدائها ، ولذا لم تكن بها حاجة إلى التماس المزيد من مظاهر الأناة ، فأهملت همز كلماتها ، أعني المبالغة في النبر واستعاضت عن ذلك بوسيلة أخرى كالتسهيل ، والإبدال ، والإسقاط[2] .

وبالتتبع وجدت الوسائل التي سلكها العرب لتخفيف الهمز مايلي :

النقل - والإبدال - والتسهيل - والحذف .

---

(١) أنظر : من أصول اللهجات العربية في السودان للدكتور عبد المجيد عابدين ص٣٤ ط القاهرة ١٩٦٦م .

(٢) أنظر : الوقف والوصل في اللغة العربية للدكتور محمد سالم محيسن ص١٢٠ مخطوط .